السياق الثقافي في رواية نزيف الحجر لإبراهيم الكوني ومملكة هذا العالم لأليخو كاربنتيير

أ / سارة صالح رمضان على

المقدمة :

في هذا البحث سوف يتم عرض أهم معالم السياق الثقافي في كل من الروائيتين محل الدراسة، والسياق الثقافي هو السياق الذي نشأ النص من خلاله، أو هو المحيط الذي كتب فيه النص والذي سيوجه إليه. وفي كل عمل من العاملين محل الدراسة يتجه السياق الثقافي اتجاهات مختلفة بناء على توجهات الكاتبين وتداعيات ثقافتهما ومحيطهما؛ ففي رواية نزيف الحجر لإبراهيم الكوني الكاتب العربي الليبي والعالمى، يتشكل السياق الثقافي العام عبر عدة أفكار عن الطوطمية والصوفية وتقديس الصحراء وإجلالها، وتقديس الحيوانات والطبيعة يجعل الودان في رواية نزيف الحجر طوطما، وهو المخلص أو القديس الذي يبجله الأفراد في طبيعة ذلك المكان، كما ينتشر في الرواية الصوت الديني والصوفي الذي يبين قداسة الأشياء بشكل أكبر، وكل هذا يعود للبيئة المحيطة بالفنان التي يعبر عنها من خلال فنه ويصوغها من أجله، ومجموعة الأفكار السائدة في روايات إبراهيم الكوني، هي الأفكار التي تدور حول فكرة الوجود، ومحاولة إقامة المدينة الفاضلة، والخطيئة التي تسبب الدمار للإنسان ويتعظ منها إذا كان سليم القلب أو لا يتعظ إذا كان مدنسا أفسدته المعاصي، مع وجود الطابع العام للسحر الذي يحاكي الواقع ويجاريه بإيمان أهله به، وهو اليقين بوجود الجان في الكهوف والاعتقاد بتلبس الذات الإلهية للحيوان ليكون طوطما والكرامات التي تصحب كل ذلك فيما بعد.

أما في رواية مملكة هذا العالم لأليخو كاربنتيير الذي يعد من أهم الكتاب في كوبا، وقد اشتهر بالعديد من الروايات التي تحكي عن الموسيقى، وتتكلم عن مشكلات الاستعمار والعبودية وأهم مشكلات الزواج في محاولة نيل الحرية، فقد كان السياق الثقافي في تلك الرواية حافلاً بتلك المعاني كلها، من خلال الطقوس السحرية المختلفة من التحول والحلول ومحاولة الثورة على العبودية، فهي رواية سياسية تاريخية تستوحى أحداثها من الحياة المعيشة للبلاد في ذلك الوقت، ونقلها بشكل أدبي وفني، وتعبر بذلك عن سياقات الكاتب المختلفة من إيداعه كل معاني الثورة على الظلم والبحث عن الذات وسط كل ذلك القهر من المستعمر الغادر، وكانت روايات أليخو كاربنتيير على الأغلب تنحو المنحى التاريخي الذي يرصد

أحداثاً معينة يعايشها آنذاك، كما أنه يبين أهمية الموسيقى من خلال تلك الأحداث لاهتمامه بهذا الجانب أيضاً، وللتعبير عن أهميته ومدلولاته التاريخية للبيئة المحيطة به، مع تناول فكرة المخلص أيضاً وانتظاره في مدة السرد، ويختلط فيها السحري بالواقعي متأثراً بالأساسيات السيريالية لأليخو كاربنتيير التي تطورت إلى هذا النوع من تقنيات الواقعية السحرية في الرواية وفي معظم كتاباته الأخرى، وتظهر مع هذا كله الملامح الدينية في الرواية والطقوس التي يتبعونها لممارسة هذا الدين.

إن هذه الدراسة تتمثل في بيان تلك السياقات المختلفة في الروايتين مع وجود التلاقي بينهما بالدراسة المقارنة، وأحسب أنها ستفيد الدرس المقارن ذلك لأن نقاط التلاقي ونقاط التشابه والاختلاف في الروايتين كثيرة وتدل على وجود التقاء في السياق الثقافي أيضاً مع اختلاف الخلفيات الثقافية الدقيقة لكل من الكاتبين.

وتحاول هذه الدراسة رصد أوجه التشابه والاختلاف بين الروايتين، وتأثرهما بالسياق الثقافي المحيط بهما.

السياق الثقافي في رواية نزيه الحجر لإبراهيم الكوني:

يدور السياق الثقافي المحيط بالكاتب الليبي إبراهيم الكوني حول الطوطمية التي تمثل أساساً من أسس الرواية عنده، والطوطمية: «حالة مجتمع وعبادة، تم تطويرهما على أكمل وجه في أستراليا وأمريكا الشمالية، حيث تقوم مجموعات من الأشخاص اعتقاداً منهم بأنهم يتماثلون بالدم، بالاتصال بكل مجموعة على هذا النحو باسم بعض النباتات أو الحيوانات أو أي فئة أخرى من الأشياء في الطبيعة. قد يكون أحد الأقارب من الذئب وآخرون دبية، وآخرون غرنوقي، وما إلى ذلك. كل مجموعة أقارب تستمد اسمها من الوحش أو النبات أو غير ذلك. بدافع الاحترام له لا أكثر ولا أقل، وعادة ما يمتنع عن قتله أو أكله أو استخدامه»¹.

ومن المؤكد أن هذا المدخل سيعيننا كثيراً على فك شفرات النص الذي ندرسه وخصائص الوحوش التي تقابلنا والأشخاص الذين يتعاملون معها.

تعد رواية نزيه الحجر من أهم الروايات التي ألفها إبراهيم الكوني من حيث التعبير عن توجهات الكوني في الكتابة ومن حيث المعاني المودعة في الرواية والتقنيات المستخدمة في بيان معاني الرواية، فقد دارت

1 أندرو لانج، علم الأساطير الحديث، (ترجمة: هبة الشاوي)، ط1، دار أباكالو للنشر والتوزيع بألمانيا ميونخ، 2020م، ص106.

الرواية بوجه عام حول أسوف الذي نشأ بعيداً عن الناس في الصحراء، وكان يحافظ على كل ما في الصحراء وبخاصة الودان تحت عهد معروف لدى الطوارق يسمى الطوطمية: وهو ميثاق بين قبيلة أو شخص ونوع من أنواع الحيوانات فيكون طوطمها ومخلصها، ويتولى مهمة حماية هذه القبيلة من أي مكروه بشرط ألا يتعرض هذا الحيوان ولا بنو جنسه للخطر من أفراد القبيلة وإلا حلت بهم اللعنة بالدمار²، ويبدو أن عبادة الطوطم نشأت للاعتقاد بأن ثمة صلة بين الإنسان والحيوان، وأن أسماء الحيوانات من الأشخاص والقبائل قد تعني الطوطم، ويبدو كذلك أن الأساطير قد لعبت دورها في تشكيل هذه الصورة عند الشعب لتؤكد على الارتباط بين الحيوان والإنسان، وبذلك يمكن وضع جميع المعبودات الحيوانية واعتماد الأسماء التي تشير إلى الرجال والأسر في إطار مفهوم الطوطم، رغم أن بعض القبائل التي تضع علامة القط على الطوطم تؤكد أن هذا مأخوذ من الكلام الشعبي ولا صلة له بالطوطمية، ومع ذلك فلا نعرف أن علماء المصريين قد تبنا وجهة النظر هذه لحساب الأشكال الحيوانية للآلهة المصرية.

«من المؤكد أن علماء السنسكريتية سيترددون قبل أن يروا في إندرا الطوطم لأنه يطلق عليه اسم فريشابه أو الثور، أو قبل محاولة التفسير على هذا الأساس الامتناع عن اللحم البقري من جانب الأوثودوكس الهندوس»³.

ويتضح بعد ذلك الصراع القائم بين المقدس والمدنس، وذلك عند ظهور الشخصيات المعاكسة وأولها قابيل ابن آدم -المستوحى من قصة قابيل وهاييل- وهو الذي كانت نجاته على يدي غزالة ضحت بنفسها لتوثق عهداً مع بني البشر، وذلك بإنقاذ هذا الطفل من الموت عطشاً عن طريق شربه دمها، ولكنه خلف العهد في الرواية عند كبره ودمر قطعان الودان والغزلان، وكان أسوف حامياً للودان بشكل خاص من فتك قابيل والجنرال الأمريكي الذي أدخل الآلات الثقيلة للصحراء ليزيد الفتك ببقايا القطعان حتى ينال أخيراً من آخر غزالة، وهي ابنة منقذته من الهلاك، وينتقل بعد ذلك للفتك بالودان وذلك لنهمه الشديد لأكل لحمه، وكان أسوف يتهرب من مساعدته لأن الودان طوطمه، ويكرر أسوف جملة كانت هي نهاية الرواية وهي «لا يشبع ابن آدم إلا التراب»⁴ وكذلك محاولة علاجه من قبل الساحر الذي تنبأ لأبيه بالتبني بقوله: «يا قابيل يا ابن آدم، لن تشبع من لحم، ولن تُروى من دم، حتى تأكل من لحم آدم وتشرب

2 - براخلية ربيعة، تجليات العجائبي في رواية نزييف الحجر لإبراهيم الكوني، كلية اللغة العربية، جامعة الجزائر، الجزائر، مجلة إشكاليات في اللغة والأدب، مجلد 9، عدد 2، 2020م، 102-103.

3 أندرو لانج: المرجع السابق، 106.

4 - إبراهيم الكوني، نزييف الحجر، الدار المصرية اللبنانية، ط3، القاهرة، 2016م، 130.

من دم آدم»⁵، وهذه الجمل كانت الجمل الموحية بنهاية السرد حيث جن جنون قاييل من تهرب أسوف المستمر في المساعدة على اصطياذ الودان، وذلك جعله يرى أسوف هو نفسه الودان المرغوب، الأمر الذي دفعه إلى ذبحه دفعة واحدة سعياً لالتهامه، فتتحقق اللعنة التي تؤدي إلى الطوفان الذي سيطهر الصحراء مما أصابها وهو نكت عهد الطوطمية مع الودان وبني جنسه أسوف «الطوطم...» هو ببساطة الوعاء الذي يحفظ فيه الرجل حياته»⁶ وعندما تمت إبادة قطعان الودان والغزلان أدى ذلك إلى انتهاء طواطم قاييل وأسوف، وكان أسوف مقدساً عند الودان فبموته وجب الموت وحل الطوفان الذي سيطهر الأرض من الشرور كلها.

كما تناقش الرواية فكرة التحول من إنسان إلى حيوان لدعم فكرة الطوطمية، وهو عندما حل والد أسوف في عيني الودان، وهذا الوفاء من أسوف للودان لم يتم إلا من خلال حادثة نكت عهده للودان، ما أدى به إلى البقاء يومين معلقاً في الهاوية حتى أنقذه الودان نفسه، وملاحظات أسوف الصوفية حول كرامات الودان ومدى أسطوريته، وإيمانه الشديد بذلك نظراً لإيمان أبيه قبله. والأسطورة عند جلبير دوران» تحكي حكاية مقدسة... تروي بتفصيل هذه المقدسات، الفوق طبيعية، وتبين قوتها المقدسة، فتصبح (الأسطورة) هي النموذج لكل نشاط إنساني دال، وهي بهذا خلق متعال ولدته ظروف اجتماعية، وشروط دقيقة»⁷.

يتضح في هذا النص - وهو بداية الرواية - مدى معرفة الراوي بتفاصيل مقدساته الصحراوية واهتمامه بموقعها وشكلها مع بيان أدق التفاصيل فيها، فهو قبل وصفها يتضح من لغته الإجلال والإعلاء لمكانة هذه الصخرة في المنطقة، فهي أهم صخرة في متخندوش، ويصفها كذلك في موقع آخر أنها صخرة عظيمة تقع بين الكهوف في زاوية تميزها لتواجه بها أشعة الشمس، وكان ذلك عبر آلاف السنين فهي صخرة بالغة القدم وعزيزة القيمة لدى أسوف وقاطني المنطقة، وقد ازدادت قيمة الصخرة لديه عندما علم أنها أصبحت قبلة للسياح النصارى يتوافدون عليها غير منقطعين: «وبالطبع لم يخطر ببال «أسوف» في الماضي... أن يكون هذا الرسم المحفور في الصخور يمثل هذه الأهمية كما يراه اليوم عندما أصبح قبلة لسياح النصارى. يأتونه من أبعد البلدان، يعبرون الصحراء بسيارات البرية ليشاهدوا الحجر، ويفتحون أفواههم دهشة أمام عظمتة وجماله وغموضه... بل إنه رأى في إحدى المرات امرأة أوروبية ترعع أمام

5 - نفسه، 84.

6 أندرو لانج، ترجمة: هبة الشاوي، علم الأساطير الحديث، مرجع سابق، ص: 126.

7 شعيب حليفي، شعرية الرواية الفنتاستيكية، المجلس الأعلى للثقافة، 1997، ص: 66.

الصخرة على ركبتيها وتتمتع بكلام مبهم، عرف بالحدس أنه صلوات النصرى»⁸، ولكن أسوف كان يقدس الحجر ويقدس كل شيء في الصحراء، ويتضح ذلك من لغة الوصف في السرد، ولم تزد رؤيته النصرى المبجلين للحجر إلا تأكيداً على سبب تقديسه للحجر ودهشته لمعرفة الآخرين من البلدان البعيدة لهذا الحجر العظيم.

ويبدو أن اهتمام الأثريين ورجال مصلحة الآثار وعلماء الآثار يمثل هذه الأماكن قد زاد من انتباه واهتمام السياح بهذه النقوش المحفورة على الصخور ما جعلهم يأتون إليها خصيصاً من أقاصي البلدان تعبدًا أو تأملًا.

وهنا يلاحظ أن الاهتمام بالنقوش انقسم إلى مستويين:

المستوى الأول: مستوى التقديس الديني الأسطوري الذي يكمن في شخصيات الرواية الأساسية، الذي يتمثل في الطوطمية وتقديس الموروثات الدينية الصحراوية والتعامل مع الواقع تعاملًا سحريًا.

المستوى الثاني: مستوى الوافد على الصحراء وعلى هذا الواقع السحري، ولكنه اكتسب هذا الواقع من عالم آخر وهو عالم علماء الآثار الذين أثاروا انتباه الوافدين بقديسية هذه النقوش والتعامل معها أنها طواطم مقدسة.

ويظهر المستويان السحري والديني معًا عندما يحدث ما لم يتوقعه أسوف بعد إحدى صلواته: «أنهى صلاته، وألقى برأسه إلى الوراء متابعًا الجدار العملاق المنتصب فوق رأسه. كبير الجن يباركه. نظرت الغامضة من خلف القناع تنطق بالرضى والسكينة. والودان المهيب، المتوجّ بقرنين ملتويين، أيضًا يوافق إلهه ويوجي بأنه قبل الصلاة وفاز برحمة رب المعبد. لم يدر أسوف أنه أخطأ الاتجاه، فلم يوجه ركعاته نحو الكعبة، وإنما نحو الصنم الحجري المنتصب فوق رأسه، في قعر الوادي العميق»⁹.

في هذه الحادثة كان أسوف قد وقع لتوه العقد -الرباط الأبدي- بينه وبين الحجر والودان حتى قبل أن يعرف أن مصيره كان محتومًا من قبل، فقد أخطأ توجيه القبلة بتوجيهها نحو الحجر المقدس بدل الكعبة، ما جعله هكذا كأنه قد أدى صلاته للحجر المنقوش، ورأى النقوش الخاصة بالجنّي الكبير والودان وكأن في وجوههما الاستحسان والقبول بعد انتهائه من الصلاة، فهو بهذا قد اكتسب رضاهم عنه واستثناسهم به، وهنا يبلغ التماس ذروته حيث يحدث التداخل بين الإنسان والأسطورة بصورة واضحة تكمن في

8 نزييف الحجر، ص 9.

9 نزييف الحجر، ص 13.

هذا العقد الذي تم بينهما وكأنه يستعيد بهذه الصورة الوثنية الطوطمية، صورة السامري مع اليهود وتعبير القرآن الكريم عن ذلك بقوله تعالى ﴿ وأشربوا في قلوبهم العجل ﴾ سورة طه، فالقرآن الكريم عبر عن حبهم للعجل بأنهم أشربوه واستولى عليهم ذلك الحب، ولكن استدراك الراوي على هذه الواقعة السحرية يكاد يشدنا من السحري إلى الواقع الديني الإسلامي المعاكس لينزع القارئ من الاستغراق في هذه الواقعة حتى لا تكون جزءاً تقريرياً يقتدي به البشر، وكأنه أحس بهذه الصورة الوثنية فأراد أن يخفف من غلوها ويأتي هذا الحذر مصداقاً للنهج الذي كان يسير عليه أبوه والطقوس التي كان يستعد بها لملاقاة الودان من قراءة القرآن وتعليق التمانم الخاصة بالزنوج وترديدها بلغة الهوسا.

وفي موضع آخر اتسم أسوف بعدم اهتمامه بالنقود لعدم حاجته لها في الصحراء، ما يدل على تقشفه ورضاه بحياة العزلة في الصحراء كوالده، فقد أوصاه رجال مصلحة الآثار منذ سنوات بمرافقة الرجل العجوز الطلياني عالم الآثار والعاشق لها، يطلبون منه أن يحرس الآثار وألا يدع أحداً يسرق أي شيء أو يمسه بسوء، فلم يقبل النقود التي أعطوها إياه وفضل أن يعطوه الزاد من الطعام المقلب أو الحبوب، وقد كان زوار الأحجار يأتون كل أسبوعين «وكثيراً ما سأل نفسه عن سر اهتمام النصارى بالرسوم القديمة، وتوصل إلى قناعة تقول إن النصارى يحجون إلى أوثان متخدوش لأنهم يعتنقون الديانة القديمة نفسها... النصارى يقفون أمام العملاق المقتنع كما يقف المسلمون بين يدي الله. ولكن أباه قال إن الجني المقتنع جده أيضاً»¹⁰ فكأنه من أصول مقدسة. وهي كلها طقوس دينية يتحد فيها أسوف مع النصارى فكلهم يقدسون الشيء نفسه ولكنه يفخر بأن والده قال إن الجني الأكبر يكون جده، فكأن النصارى يتضرعون لجده ويأتون من أقصى البلاد لكي يتعبدون عنده، فقد كانت علاقة أسوف مع الآخر الأوروبي المسيحي علاقة ود طالما لم يمس أحد منهم مقدرات الصحراء التي يحميها ويحبها ويقدها، بل كان يستأنسهم لأنهم كانوا يتعبدون فيها ويحترمون كل شيء فيها، ولكن يلاحظ اللغة المتوترة عند أسوف عند قدوم بني جلدته المسلمون العصاة لبحثهم عن الودان: «تصاعد الهدير، ورأى زوبعة الغبار ترتفع في الأفق عبر السهل البسيط... من السيارة نزل رجلان، متفاوتان في القامة وفي الجسم. أحدهما طويل، والثاني قصير... فتشجع أسوف وتقدم نحوه... شد على يده بجرارة، وقال ضاحكاً: إذن هو أنت الجني أسوف الذي أثر العيش في الخلاء الخالي عن معاشرته الناس؟ حدثونا عنك في وادي الآجال.

لم يعلق أسوف وكى يداري ارتبائه سارع يعدل من وضع لثامه على وجهه. سأل الرجل وهو يتفقد

الجبال بنظرة شاملة ويضع يديه في وسطه: هل يزورك سياح كثيرون هنا؟ سمعنا أن الأجانب سبقونا إلى كل مكان في الصحراء. أينما ذهبنا وجدنا أنهم سبقونا. الأجانب الشياطين! في حزامه، لاحظ أسوف السلاح الأسود ذلك السلاح الصغير الذي يطلقون عليه مسدس. قال: نعم. لم يأت إلى متخذوش فيما مضى سوى النصارى. أنا أرى المسلمين أول مرة. ضحك الرجل، وقال معقبًا: ومن قال لك إننا مسلمون؟

ارتبك أسوف مرة أخرى، فسارع يداري ريكته بشدّ أطراف اللثام على وجهه. لاحظ الرجل ضيقه، فطمأنه: أنا أمزح. نحن مسلمون. برغم أننا لا نصلي ولا نركي ولم نحج إلى بيت الله مرة واحدة.¹¹ لقد كانت هذه المحاورة بينهما كافية ليتبين لأسوف أنه بصدد أعداء الصحراء ويجب أن يحاول التملّص منهم بأي شكل كان، فهي مثل الروح الشريرة القادمة لتدمير كل شيء، وكان يشعر بالضيق في وجودهم لسبب لا يعرفه، «خيّل إليه أن ضحكاتها وهمساتها مازالتا تترددان في صخور الوادي... ضحكات وهمسات أزعجته دون أن يفهم السبب.

أحس بقلبه»¹²

عندها تذكر أسوف والده وما كان ينصحه بالفعل دائمًا في مثل هذه المواقف، لقد كان والد أسوف دائمًا ما يوصيه بأن يستفت قلبه، وأن يفعل ما يشعر به فالقلب هو دليل البدوي في الصحراء يعرف به الخطر من الأمن والخطأ من الصواب، فكان شعوره بقلبه حينها ليس إلا تحذيرًا له من خطر قريب في وجود هذين الضيفين¹³، وهنا يكمن التناقض بين موقفي صنفين من الزوار:

الصنف الأول خارج عن نطاق الصحراء والبلاد والوطن نفسه ولكنه يأتي متعاطفًا مقدسًا يكاد يكون متحدًا مع أبناء الأرض في معتقداتهم وأسطوريتهم في التعامل مع الواقع، بينما يأتي الصنف الثاني من الداخل من أبناء الوطن نفسه ولكن يأتي معاديًا جاحدًا لكل هذه الطقوس والتقاليد والمعتقدات الشعبية الفلكلورية التي تمثل جزءًا من حياة الناس في هذه الصحراء، بل إنه جاء ليهدمه هدمًا قدر استطاعته جشعًا وطمعًا لإشباع رغبات شخصية، وهنا تكاد تختفي فكرة الصراع مع الآخر الأجنبي في هذا الجزء من الرواية، ليرتكز هذا الصراع مع بني جلدته.

11 نزييف الحجر، ص 18.

12 نزييف الحجر، ص 23.

13 راجع نزييف الحجر، ص 24.

كذلك عند استدعاء أسوف لرحيلهم في البداية من الوادي ليقطنوا الصحراء الجرداء كان يوضح رأي والده في ذلك أنه يفضل مجاورة الجن عن الناس، « الصحراء كنز. مكافأة لمن أراد النجاة من استعباد العبد وأذى العباد. فيها الهناء، فيها الفناء، فيها المراد. وكان يسبل جفنيه، ويتمايل يميناً ويساراً، مقلداً شيوخ الصوفية عندما يقعون في نوبات الوجد»¹⁴، كما كان والده دائماً ما يعلمه الصيد ويحدثه عن أخلاق الحيوانات والطيور في الصحراء.

وقد نشأ أسوف في هذه الطقوس السحرية طوال حياته فهو يهاب الناس لتحذير أبيه المتواصل منهم، وهو يحب الصحراء ومقدراتها لأنه ورث ذلك عن أبيه وجده، مع وجود بعض المعتقدات الخرافية المتوارثة عن الحياة الصحراوية والجبلية واختلاف كل منهما وحيوانات كل منهما، ليكون أسوف الحارس الجديد لهذه المقدرات الذي تكون بنهاية هذه الأشياء نهايته.

وهنا تتأمل هذا الموقف جيداً فنرى أنه رغم العوالم السحرية والطقوس المحيطة بالواقع الذي عاشه الأب، فإن أحداث الحياة التي تؤثر على بقاء الإنسان حياً من الناحية الاقتصادية كالجوع، قد أحدثت في نفسه صراعاً بين الحفاظ على الطقس واغتياله ذلك أن الطقس لا يُشبع من جوع ولا يحل مشكلة اقتصادية، وإنما هو معتقد فكري أسطوري يعيش في داخل البشر، ولكن الواقع المرير يهزمه فيضطر الأب إلى اصطياح الودان فينكث بعهدته نتيجة الجوع حيث تتعارض السحرية مع الواقعية المعيشة فتنتصر الواقعية، رغم ما سيتلو ذلك من ندم وتراجع شخصية الأب عن هذا الموقف.

كما يتبين من خلال المظاهر السحرية حول مكان الرواية وشخصها أن الشخصية والراوي ومن حوله مؤمنون بكل ما يدور حولهم من خوارق، ومسلمون بها، لأنهم يرون أنه من الطبيعي تقديس هذه المقدرات وعدم المساس بها ومن يحاول المساس بها فسيواجه العقبات الشداد من الآلهة والطبيعة ورب العباد وقد ساعدت الصحراء وطبيعتها القاسية على ظهور العجائبيات والسحريات فقد كان يقول أسوف لوالدته عندما كان يتعرف على الحياة الصحراوية من والديه: «أنا أسمع محادثات الجن في الكهوف كل يوم. يقولون أشياء مدهشة ويخطر ببالهم في بعض الأحيان أن يغنوا. أنا لا أخاف الجن.»¹⁵.

وقد وقع أسوف في فخ الودان عندما حاول مطاردته، فاستدرجه الودان إلى أعلى قمة من قمم الجبال ليعلق أسوف في الهاوية متشبثاً بأخر أمل له في النجاة ومعلقاً بصخرة لمدة يومين كاملين بيديه المدماة،

14 نزييف الحجر، ص 25.

15 نزييف الحجر، ص 11.

ويرى أن في التشبث بالحياة أَلَمًا، ويفكر في أن يترك الصخرة ليسقط في الهاوية لكنه يعود ليتذكر أمه ويشجع نفسه بهذه الكلمات: «أين الشجاعة؟ أين النبل؟ أين الخوف من ارتكاب العار؟ أين تلك الأشياء التي أنفق والده حياته يحاول أن يزرعها في قلبه؟ قال إنه سيعتبر نفسه حيًا ما دامت هذه المبادئ حية في قلب الابن، وسيموت فقط عندما يخون مبدأ من هذه المبادئ. إذن خلود الوالد في موته. ولكنه لن يخون أي مبدأ إذا أراد الحياة. إذا كان التفريط في الحياة سهلًا إلى هذا الحد، فلماذا وهبها لنا الله؟»¹⁶، لقد زرع الأب في ابنه كل الإيمانيات التي تقيه الخوف من أي شيء، بل وتجعله صلبًا في مواجهة أي مصاعب ومواجهات.

ومن بعد هذه الحادثة قد كره أسوف أكل كل اللحوم، وأصبحت تثير اشمئزازه، ولم تفهم أمه ما جرى لابنها فهو لم يخبرها بالتحول، وتظل الصحراء تحاربه بطبيعتها القاسية فقد هاجمهم هو وأمهم الجفاف ما دعاه ليحرب حظه مع الناس في الواحات، حيث قام باعتقاله الكابتن بورديلو ليجهزه مع مجموعة من الشباب لغزو الحبشة، فقامت السيول بمهاجمة والدته وتقطيع أوصالها وتمزيق جسدها حتى لم يتبق منها شيء سليم في مشهد قاس يدل على غدر الطقس في الصحراء وعواقب العزلة.

ولكنه بعد ذلك الاعتقال استطاع الإفلات منهم: «هنا، في الطريق، قبل أن يبلغوا العوينات، حدث ما تناقله الأهالي ونسجوا حوله الأساطير. روى لهم الشباب، فقالوا إنهم رأوا المعجزة لأول مرة في حياتهم. شاهدوا إنسانًا يفلت من الأسر ويتحوّل إلى ودّان، يعدو نحو الجبل... الصوفيون الحكماء في الواحات هزوا رؤوسهم من الوجد، وألقوا بالبخور في النار، وأجمعوا: ذلك وليّ من أولياء الله»¹⁷ هنا يتحد الواقعي بالسحري والميثولوجي، فالناس ينسلون الحكايات حول تحول أسوف إلى ودان وهربه من الاستعمار الإيطالي وخصائص الطليان برشاقة الودان، والصوفيون يطيب لهم سماع ذلك ويقولون إنه ولي من أولياء الله الصالحين الذي يقدر على هذا النوع من التحول والحلول والهروب من العدو.

التحام أسوف بالطبيعة قد فاق الحدّ، فالودّان يطمئن له ولضيوفه، فهو حارسه، كما أنه يناجي الطبيعة لحماية رعاياها من الغدر المحدّق الذي تورط فيه، فقد صلى في البداية وقرأ سورة الفاتحة لكي يرعاه الله بحفظه وألا تتم ملاحظته، ثم استعان بالجبال تضرعًا أن تساعد في حماية روحها من الهلاك، ولم يأبه بغضب قايبيل المتواصل منه لأنّ جلّ هدفه هو حماية الودّان من الغدر المحتوم.

16 نزييف الحجر، ص 58.

17 نزييف الحجر، ص 76-77.

بعد كل هذا التعجب والاستغراب من تصرفات قابيل وجشعه غير المعهود، يعود الراوي لتفسير كل ذلك في فصل خاص به بعنوان اللقيط، يحكي فيه قصة حياته وطبيعة نشأته، فقصته مع اللحم تبدأ برضاعته من الغزالة حتى ينجو من الهلاك، بعد موت أبيه مطعوناً عندما حبلت به أمه وموت الأم متأثرة بلدغة أفعى بعد ولادته بأسبوع. فقد كان مشؤوماً منذ الولادة وقبلها أيضاً رغم كونه ملاكاً صغيراً، ثم تولت خالته تربيته التي سقته دم الغزال في الحمادة الحمراء عملاً بنصيحة أحد الفقهاء الذي توقع أنه بذلك يُنهي النحس الذي وقع فيه الصغير، وأن ذلك ما سيحمله وأهله من اللعنة، ولكن الخالة وزوجها يموتان عطشاً في تلك الرحلة لتلتقطه قافلة عابرة وهو يحشو رأسه في جوف غزالة ويلعق دمها، ولكن المتبني لحقته اللعنة أيضاً فقد بارت تجارتها ولجأ هو أيضاً للعرافين والسحرة ليجمعوا كلهم أنه «يا قابيل يا ابن آدم، لن تشبع من لحم، ولن تروى من دم، حتى تأكل من لحم آدم، وتشرب من دم آدم»¹⁸، وعندما حاول آدم [متبنيه] تحصينه بحجاب، ضاع الحجاب ليلقى آدم حتفه وسط قبائل اليم يم أكلة لحوم البشر، وأكلت لحمه نيئاً.

ظل تاريخ قابيل وصمة عار له فقد كان أولاد الجيران ينعتهون بآكل لحم أبيه وأمه بالتبني وابن يم يم الشيطان، والغريب أنه لم يكن يهتم لذلك إنما كان يكشر لهم عن أنيابه حتى يخافوا منه أكثر، وعندما حاول ترك أكل اللحم كان وضعه يسوء بشكل غريب، وهذا ما يوضحه مسعود صديقه بقوله: «مضى شهر على قراره فتبدلت ملامحه. شحبت لونه، وذبل جسمه وبرزت وجنتاه، وعانى من الصداع والنوبات العصبية التي تشبه الصرع. تتنابه رعدة عنيفة، ويعلو الزيد شفثيه، ويسقط على الأرض وهو ينتفض في هزات عنيفة كما تنتفض الدجاجة الذبيحة.»¹⁹

يمثل موقف قابيل من الصحراء موقف كراهية وعدم انتماء منذ طفولته، فبغض النظر عن اللعنة وعن حبه لأكل اللحم، فلا يبدو عليه أي انتماء لهذه البقعة أو خوف على مقدراتها، وهو لم يكتف بهذا القدر، بل زاده الطمع الشبقي إلى استخدام الأسلحة الثقيلة لكي ينهي الحياة في الصحراء بمساعدة المستعمر المتمثل في الضابط الأمريكي، ولم يأبه لأي شيء، بل كان يكافئه ويتقايض معه مقدرات الصحراء من لحوم تلك الحيوانات مقابل قوته البسيط! وهو ما يعدّ خيانة لمكان نشأته وخيانة لعهد الخاص الذي تم بذلك الرباط الدموي بينه وبين الغزلان.

18 نزيف الحجر، ص 84.

19 نزيف الحجر، ص 87.

ثم تبدأ لحظة التأزم عندما يخطر ببال أسوف مقولة لوالده: «سمعت أبي يقول إن ابن آدم لن يشبع إلا بالتراب.

ولم تكن العبارة لتستفز قاييل لو لم يعودا فاشلين من الغزوة. اندفع نحو البدوي وصرخ بغضب: ماذا تريد أن تقول يا راعي الغنم؟

تراجع أسوف خطوات إلى الوراء، وردد ببلاهة: قلت إن أبي يقول إن ابن آدم لا يشبع إلا بالتراب.²⁰ والحقيقة أن هذه الجملة السحرية فيها ما فيها من المعاني الداخلية، فكأن أسوف يوحى بالنهاية بهذه المقولة فابن آدم في صياغة الاسم نفسه فهو من الأدم والأدم هو الجلد، وهو كذلك وجه الأرض وذلك في قول أبي العلاء المعري في الدعوة للتواضع:

خَفَّف الوطاء ما أَظَنَّ أديم ال * أرض إلا من هذه الأجساد

إن هذا الموقف بين أسوف وقاييل فيه ما فيه من الواقعية السحرية، فقاييل الذي ظل أيامًا لا يعرف مكان الودان مع نكران أسوف الواضح وخداعه لهما ما دعا قاييل إلى سيطرة النوبة الجنونية عليه وفقدانه صوابه بصلب أسوف على الحجر المقدس في متخندوش، وربطه بالحبال، ولم يكن في وسع أسوف إلا ترديد هذه الجملة كأنها ترتيل صوفي لتعويدة، «وهي دعوة إلى الخوض في أعماق الأنا بالتخلص من الجسد الذي يمثل عند الصوفية قبر النفس.

فتفاعل قاييل مع المكان طالما كان تفاعلًا جسديًا تقوده الغريزة الشبقية لإشباعها، وذلك التفاعل في تضاد مع تفاعل أسوف مع المكان الذي ملؤه محبة وخوف على الثروات الصحراوية وتعفف عن أكل لحم الحيوان أسوة بالمتصوفة، لذلك حدث الصدام بين النقيضين الذي أدى إلى هذا الصدام التراجيدي بين الخير والشر، وبين الحارس واللص، وبين الأمين والخائن، وبين المعمر والمدمر، ليصل الجنون ذروته بقاييل ويعلق أسوف مصلوبًا على الحجر المقدس، لينتظر إن كانت لديه كرامة من كرامات المتصوفة وأنه سيتحول لودان أم لا.

ثم يعود النص أيضًا لذكر ملخص عن جون باركر الكابتن الذي ساهم في مساعدة قاييل على سفك دماء الحيوانات في الصحراء بالسلاح الشيطاني، فيخبرنا النص بمعرفته واطلاعه على المشرق وحياتهم: «وكثر ما أثاره ذلك الرأي الذي أورده مؤلف فرنسي في كتاب (الصوفية في شمال إفريقيا)، فقال: إن المغرب العربي هو الذي أنزل الصوفية من عرش الفلسفة السماوية إلى أرض الحياة اليومية. ففي هذه

البلدان، خلاف المشرق، لا تستطيع أن تميز بين الشيخ الحكيم أو الدرويش الأبله أو الولي الصالح لأنهم يشبهون جميعهم المتسول المتشرد! ولذلك فإن الصوفية هنا... هي أقرب منها إلى البوذية؛ إذ لا فرق بين الإله في السماء... في الكتاب نفسه، وجد ذلك النص المثير الذي كان سبباً في إدمانه لحم الغزلان. ورغم اهتمام الكابتن بأراء ذلك الدرويش فإنه لم يوقف عمليات قتل الغزلان، ولكنه عندما اختلف مع قاييل بسبب عدم اعتباره الشيخ جلوي (درويش القادرية) شيخاً، قال له هو ورفيقه: «لم أر فيكم أخلص منه للصحراء برغم أنه لا يتمتع بخيراتها مثلكم ولا يأكل غزلانها. أنت يا قاييل تأكل الغلة وتسب الملة، والصحراء لم تطهرك لأنك لم تعشقها. والآن تريد قوافل كاملة كي تقلك لغزو الودان في الصحاري الجنوبية. تريد أن تبتزني كما ابتزرتني طوال السنوات الماضية في خصوص الغزلان. أنت أناني، جشع، كسول»²¹.

ويلاحظ كذلك أن حتى المستعمر قد تراجع عن طغيانه وسفكه عندما لاحظ هجر الغزلان للمنطقة بأعداد كبيرة، فاتهم قاييل أنه لم يحب الصحراء وأنه السبب في عملية إبادة الغزلان، واتهمه أيضاً بالجشع والأناية، وكان قاييل يتهرب من الاتهامات باتهام رفيقه الكابتن أنه هو من سلّحه وزوده بالسيارات لكي يسرع عملية الإبادة ضد ذلك الحيوان الساحر، وأن الشيخ الجلوي قاطعه عندما سمع خبر تلك المجزرة، واستنكر أنه يتبع الديانة المسيحية، وهنا أحس جون باركر بجريمته، ولكن بعد فوات الأوان. كان هذا اللقاء بين قاييل وأخته من الغزلان التي وثقت أمه عهداً بالدم مع بني الإنسان بإنقاذه بدمها مقابل الحفاظ على حياة الغزلان من نسلها، وهذا سبب شعور أسوف بالتوتر والخوف من تلك الغزالة تحديداً وعدم مقدرته النظر في عينيها، لكنه في نهاية المطاف يستجيب لإلحاح غرائزه في الفتك وسفك الدماء.

وفي الفصل المعنون بالتمائم، وضح الراوي زاوية أخرى من شخصية قاييل، وهو استغرابه عدم تأثير التمائم فيه بالمنع عن أكل اللحوم بشراهة، لدرجة أن زوجته قد طلبت منه الطلاق خوفاً على نفسها: «يقال إنها بادرت إلى طلب الطلاق، وبررت هذا العمل بالقول إنها تريد أن تنجو قبل أن يأكلها الوحش؛ لأنها رأت حُلماً قضى فيه زوجها على الغزلان في الحمادة ثم عاد إلى البيت، فلما لم يجد لحماً قفز عليها ونهشها. وهي لا تكف عن حمد الله لأنها لم تنجب منه أولاداً»²²، وعندما كان على وليمة ودان مع مسعود وباركر،

21 نزييف الحجر، ص 110.

22 نزييف الحجر، ص 120، 121.

أراه الاثنان حجاب كل منهما وقد صنعه السحرة الزوج لمسعود وباركر، واستغرب قابيل حينها عندما رأهما يرتديان التمام على وليمة ودان، وبخاصة باركر المسيحي، ولم يعلم أن ارتداء التمام ضروري لأجل تناول الودان.

ثم يتحول النص ليذكر حادثة الرؤيا التي حلم بها قابيل التي توهي بالنهاية، فقد استولت عليه النوبة، فبعد أن حرم نفسه من تناول اللحم لمدة أسبوع لزم الفراش وحطم رأسه الصداع وعانى من الغثيان، ولم يكن حينها الحصول على اللحم بالأمر السهل، وعندما تركه مسعود وبجواره مصباح الغاز حدث ما لم يتوقعه: «بعد خروجه مباشرة جاءه الودان، على رأسه يقف قرنان هائلان معقوفان إلى الوراء حتى ظهره فيعودان ويتجهان نحو رأسه... دعاه الحيوان الخفي إلى رحلة. تاها معاً في الصحراء. عبره الحمادة وهو يمتطي ظهره. عطش، وجاع، وحطم رأسه الصداع، فوجد أن الودان العظيم قد طار به عبر أمواج بحر الرملة... اشتد عطشه وجوعه وصداعه حتى كاد يسقط من جسم الحيوان العظيم... تملمت الدودة الشيطانية في أسنانه، فنهش رقبة الودان، والتهم قطعة لحم. ولكن الحيوان لم يتوقف عن القفز بين أحجار الجبال... واستمر ينتزع اللحم من جسده من دون أن يتوقف عن العدو... صعد الحيوان قمة جبل عالية، فاكتشف أنه يجلس على ظهر رجل بئس لم يعرفه من قبل، نحيل الجسم، طويل القامة، تقطر من رقبته الدماء. وقبل أن يفيق من هول التحول، رفع الرجل نحوه وجهًا شقيًا وقال له: لا يشعب ابن آدم إلا التراب، ورمى به من القمة السماوية، فوجد نفسه يطير إلى الهاوية»²³.

وتنتهي الرواية نهاية ملؤها الواقعية السحرية، التي كان يتم الإيماء إليها طوال أحداث الرواية من الاستدراكات والمونولوجات الداخلية وتدخل الراوي في وصف الشخصيات بالتذكر والوصف، ويعود السرد مرة أخرى إلى أسوف المصلوب متذكراً أن صبره قد أنقذه.

لقد استولت النوبة على قابيل إلى أن لم يعد يفرق الصواب من الخطأ، بل إنه مقتنع تمام الاقتناع أنه هو نفسه الودان السحري الذي زاره في الحلم ودفع به إلى الهاوية، ثم اشتدت النوبة لديه بحيث إن مسعود نفسه لم يعد يعرفه فهو كالحَيوان المتعطش للدماء، فهو يراه ودانا متكاملًا بالقرنين المعقوفين الضخمين خلفه على الصخرة المقدسة وهذا ما دفعه إلى أن: «أمسك به من لحيته وجر رقبته على السكين بحركة خبيرة... خبرة من ذبح كل قطعان الغزلان في الحمادة الحمراء. لم يصرخ أسوف ولم يعترض، ولكن مسعوداً هو الذي صرخ، فتردد صدى الصرخة في القمم المجاورة. استجابت الجنيات بالنواح في الكهوف،

وتصدع الجبل. اسودّ وجه الشمس، وغابت ضفتا الوادي في المتاهات الأبدية. ألقى القاتل بالرأس فوق لوح الحجر في واجهة الصخرة، فتحرّكت شفتا أسوف، وتمتم الرأس المقطوع المفصول عن الرقبة: لا يشبع ابن آدم إلا التراب!²⁴، لقد كان الوضع كله سحرياً فقد عمي قابيل تماماً عن النظر وسيطرت عليه اللعنة، وباءت محاولات مسعود في تجنب ذلك الموقف بالفشل، وجاءت النهاية الواعدة المكتوبة على اللوح المقدس عندما نزف عليها دم أسوف بقوله: «أنا الكاهن الأكبر متخدوش أنبي الأجيال أن الخلاص سيجيئ عندما ينزف الودان المقدس، ويسيل الدم من الحجر. تولد المعجزة التي ستغسل اللعنة، تنظف الأرض ويغمر الصحراء الطوفان»²⁵ وهذا ما حدث بدون أن يلاحظ قابيل: «لم يلاحظ القاتل كيف اسودت السماء، وحجبت السحب شمس الصحراء. وكلها أحداث في صميم الواقعية السحرية، فهي تسرد أنها واقع ملموس والجميع مؤمنون به وأن من يمسخها بسوء مصيره الهلاك مثل مصير قابيل تماماً.

والانفعالات هنا تعد دوافع محفزة على العنف والجريمة ولذلك يمكن أن تدرس من ناحية علم الفينومينولوجيا أو الظاهراتية، في صلتها بعلم النفس والفلسفة ما يجعل هذه الانفعالات قسدية أو لإرادية، وإذا كانت الانفعالات أساسها الخبرة الذاتية، فإن تحليلنا ينبغي أن يدرس عالم الشخص الوحيد الذي يتأرجح بين العلاقات العاطفية الذاتية، والمشاعر الجمعية وهكذا فإن سلوك قابيل نحو أسوف جاء مزيجاً من الجانبين.

ولا شك أن هذا الفهم لعلاقة الإنسان بالطبيعة وارتباط ذلك بالأسطورة يشكّل علاقة الفرد بالعالم وبنمط معين للحياة، ويرتبط هذا النمط بالبيئة التي تشكل هذه القناعات حول ماهية العالم.

وهذا يعيدنا إلى الصور التي تتشكل فيها الثقافة في عناصرها البدائية وأبسط تعريفاتها التي هي «كما عرفها إدوارد تايلور: كل مركّب يشتمل على المعرفة والمعتقدات والفنون والأخلاق والقانون والعرف وغير ذلك من الإمكانيات والعادات التي يكتسبها الإنسان باعتباره عضواً في المجتمع»²⁶.

وهكذا تبرز الثقافة بعنصرها المادي واللامادي وأثرهما في حياة الإنسان. ومن ثمّ فإن السلوك الذي قام به قابيل هو مزيج من الواقع والأسطورة في علاقة الفرد بالطبيعة وعناصرها المختلفة.

24 نزييف الحجر، 133.

25 نزييف الحجر، ص 133-134.

26 نظرية الثقافة، ترجمة على سيد الصاوي، سلسلة عالم المعرفة، 1970، ص 9.

السياق الثقافي في رواية مملكة هذا العالم لأليخو كاربنتيير:

هي من أهم الروايات التي ألفها أليخو كاربنتيير، فقد مزج فيها الكاتب العديد من النماذج الباروكية والتقليدية الفلكلورية مع ثراء هائل في الطقوس السحرية²⁷، حيث أودعها الكاتب العديد من الفلسفات الشرقية والروحانيات الإفريقية مثل التناسخ والتأمل والانتقال من هيئة لهيئة أخرى وغيرها...، وقد كان الكاتب على دراية بها من خلال البحث والمخالطة لهذه الشعوب، والرواية قصيرة الحجم بسبب القفزات الزمنية التي كان الكاتب يتبعها مع وصف الشخصيات وهم أبطال العمل مثل ماكندال وتي نويل وسليمان وجميعهم جلبوا عبيدًا للجزيرة الكوبية ليتحول مصيرهم هناك، وهي أحداث حقيقية من تاريخ هاييتي المستعمرة الفرنسية السابقة التي ثار عبيدها على ملاكهم الفرنسيين واستطاعوا التحرر منهم وإنشاء دولتهم.²⁸

تدور أحداث الرواية في بدايات القرن التاسع عشر، في منطقة كاب فرانس في سانتودومينجو (الدومينيكان)، تحكي الرواية باختصار قصة استعباد مجموعة من الأفارقة واستجلابهم للمكان لغرض الخدمة، وقد كان تي نويل من أقوى العبيد في عصره وسيدته هو لونورمان دي ميري، وتي نويل كذلك المساعد الرئيسي لماكندال الذي يعده العبيد المخلص لهم من العبودية ضد المستعمر الفرنسي، وتكون العلاقة بين العبيد والمستعمرين علاقة متوترة جدا ناشئة عن العنف والقسوة ضدهم، وفخر العبيد وبخاصة تي نويل بمدى قوتهم وفحولتهم لأن يثبتهم القاسية علمتهم الصبر والجلد، ومن خلال المعجزة التي حدثت لماكندال بتحوله وطيرانه عند محاولة المستعمرين حرقه، بعث الأمل عند العبيد للخلاص وشجعهم ذلك لأجل افتعال الثورة والتحرر من المستعمر الفرنسي.

ويمر ماكندال بسلسلة من التحولات الخاصة عن طريق تحوله في شكل العديد من الكائنات حيث يمتزج الواقع بالسحر، وتتجسد الأفكار الاجتماعية والعلمية والفلسفية «التي كانت سائدة في أوروبا طوال القرن التاسع عشر وعمت إسبانيا ابتداءً من عام 1850م. وكان الهدف من هذا التيار هو وصف الواقع بأقصى درجة من الدقة، انطلاقاً من الملاحظة المباشرة، وتوثيق الكاتب عن طريق التقنيات السوسولوجية (إعادة إنتاج المناخ والعادات والتقاليد)، والسيكولوجية (خلق الخصال). ولا بد من إضافة تأثير أفكار خاصة بتطور الأنواع (دارون) القائمة على أساس نظرية الأنواع (مندل)، فالوضعية

27 صبري حافظ، التجريبية الأولى والواقعية الخاصة، الكلمة، مجلة أدبية شهرية، السعودية، العدد 153، يناير 2020.

28 Asjp. Cerist.dz/en/article/49413

والمادية مركبة مع الأحداث التاريخية والسياسية لاللحظة لكي تتمكن من فك شفرة الواقعية ومعناها خلال أدب العصر»²⁹، فانطلاقاً من فك رموز الواقعية بجناحيها السوسولوجي والسيكولوجي وربطهما بعلم الوراثة عند مندل وأساطير الشعوب وثقافتها يمكننا أن نصل إلى ثمار جديدة عبر هذا التحليل. وبيمان العبيد بذلك التحول، استطاع العبيد افتعال الثورة وتدمير كل ما يتعلق بالمستعمر والانتقام منهم أشد الانتقام لتقوم دولة السود، وكان رئيسهم كريستوف الذي استعان بالخلاسيين في إنشاء الدولة واستعبد السود للمرة الثانية، وكان يعنفهم ويهينهم مع الخلاسيين وكان حينها تي نويل شيخاً كبيراً لا يحتمل العبودية، ومن صور هذا الاستعباد في الرواية كان «مئات الرجال يعملون داخل ذلك البناء الضخم تحت مراقبة السوط والبندقية، كانوا ينفذون بناء لم يشاهد مثله حتى ذلك الوقت إلا في الفن المعماري الخيالي الذي تصوره بيرانيزي...»³⁰ وهذه من صور التسخير والاستعباد وإن كان الهدف نبيلاً، وتشهد هذه الصور في بشاعتها حين نرى أعمال البناء تتم في منتصف الليل على ضوء المشاعل وتكون نتيجتها إنهاك الرجال والمعاملة السيئة حتى مع الشيوخ «تمدد الشيخ منهكاً في خندق تحت الجسر المعلق وفي الفجر أيقظوه بضربة سوط...»³¹ ويكشف ذلك عن هذا التجنيد الإجباري للبشر في سبيل بناء دولة السوء بحيث لا يستطيع المسخرون حتى الاحتجاج «خنقت كل محاولات الاحتجاج بالدم»³² ما اضطره للاختباء، والتحول إلى إوزة ولكنه فشل في الاختلاط بمجتمع الإوزات فتحول إلى عقاب بشكل غامض وغير مصرح به في الرواية، ويتخلل الرواية العديد من الأحداث الخارقة والسحرية التي تحدث مع ماكندال وغيره بشكل عام في الرواية نظراً لإيمانهم بالعديد من الديانات والطقوس الأفريقية، كما تعبق في المكان ملامح الحزن والخراب في وصفه.³³

إن رواية مملكة هذا العالم - وهي رواية ثورية - تستوحى حبكة من الأحداث التاريخية والسياسية والاجتماعية للبلاد، وتعكس نقداً حقيقياً لمثل هذه الثورات، فهي تقوم بتصوير الأحداث التاريخية

Mercedes del Amo : Realidad y Fantasia en Naguib Mahfuz, Univesidad de Granada 29
..Granada 1991. P84

30 أليخو كارينتيير، مملكة هذا العالم 72، نقلاً عن الأصل، « Centenares de homres trabajaban en las ” entranas de aquella inmensa construccion, siempre espiados por el latigo y el fusil, rematando obras que solo habian sido vistas, hasta entonces, en las arquitecturas imaginarias del piranese”
.EL REINO DE ESTE MUNDO, ALIGO CARPENTIER, [http://: amauta.lahaine.org](http://amauta.lahaine.org)

31 أليخو كارينتيير، مملكة هذا العالم ص 73.

32 نفسه، 73.

33 أليخو كارينتيير، رواية مملكة هذا العالم، ترجمة محمد علي اليوسفي، الطبعة الأولى، ورد للطباعة والنشر والتوزيع، 2008، سورية - دمشق، ص: 95-103.

بشكل أدبي، وهي شاهد على الأحداث في ذلك الوقت.

وهنا تنتقل بنا الرواية إلى سانتياغو حيث تصل بولين بونابرت، وزوجها الجنرال لوكليرك... والحقيقة أن وصول الأميرة إلى تلك المدينة لم يكن حدثاً عادياً... ذلك أن جمالها وسحرها يطغيان على الجميع، لا سيما حين تسلّم جسدها لعبدها الأسود سليمان كي يدلّكه... غير أن هذا كلام لا يدوم، إذ إن موت الجنرال لوكليرك يدفع بالزوجة بولين للعودة إلى فرنسا، تاركة ذكرى طيبة عطرة وأفكاراً جديدة، ولكن أيضاً تاركة العبد سليمان ملتمساً لا يتوقف ليل نهار عن تدليك تمثال السيدة الحسنة. في هذه الأثناء، يكون العبد تي - نويل عاد إلى عزية ميري، وتعود معه الرواية إلى هناك... لكن العزبة تكون قد تحولت إلى مملكة ملكها هو هنري - كريستوف، الطباخ السابق في دارة مسيولونورمان. وعادت ممارسات الفودو من جديد، والفودو هو «مذهب ديني توفيقى متأصل في غرب أفريقيا ويمارس في أجزاء من منطقة الكاريبي خاصة في هايتي وأجزاء من جنوب الولايات المتحدة... وهذا بسبب الاستعباد وخوف السود الأفارقة من المستعبدين، وهو من أنواع السحر الأسود الذي يقوم أهله باستخدام الأشباح والجن لخدمتهم»³⁴. ولكن لأن لا شيء يدوم سرعان ما تفتت مملكة هنري - كريستوف وينتحر هذا الأخير، فيما يأخذ تي - نويل على عاتقه، الحلول محل ماكندال، أي يتحول ليصبح كاهناً أكبر يتولى إدارة طقوس الفودو، وبالتالي الحفاظ على هوية هؤلاء الناس، الذين يعودون إلى نظامهم القديم، بعدما مرت بهم كل تلك التقلبات، «فالأفارقة مثل بقية الشعوب اعتقدوا بأنهم لا يقدرّون على الاتصال بالله مباشرة، فأوجدوا واسطة أو أشخاصاً خاصين واستعانوا بأشخاص معينين... أما الساحر فعمله هو كوسيط يومي يقوم بالوساطة عن طريق الأحلام أو الغيبوبة أو الرموز والإشارات، ويجب أخذ موافقته على كل عمل هام وتحت حماية هؤلاء الأشخاص العارفين بالطرق المقدسة تفتح نماذج الحياة القبلية حول الولادة والزواج والبلوغ والموت»³⁵.

وتنحو روايات أليخو كاربنتيير منحي تاريخي، حيث يقدم في أعماله الحديث عن كولومبوس مكتشف القارة الأمريكية ومساوي هذا الاكتشاف على الآخرين وعدم تقديس كولومبوس، ويكون ذلك من خلال سياق خيالي تاريخي، وفيه ذكر للموسيقى وأهميتها من خلال الأحداث، وذلك مثل رواية القيثارة

Forte, Jung Ran, Vodun Ancestry, diasporah homecoming, and the ambiguities of Transnationals Belongings in, the Republic of Benin, Global Circuits of Blackness, University of Illinois Press, 2020, p: 183

35 آرثر كورتل، ترجمة: سهى الطريحي، قاموس أساطير العالم، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، سورية - دمشق، الطبعة الثانية، 2013، ص: 213.

والظل، ورواية الخطوات الضائعة.

لكن إذا تمعنا النظر في رواية مملكة هذا العالم، سنجد اختلاف تناول الروائيتين للواقعية السحرية، كل حسب بيئته وبيئة الشخصيات المعبر عنها، ففي رواية مملكة هذا العالم تنحو الواقعية السحرية المنحى الأفريقي بشكله العميق، من ناحية الثقافة الأفريقية لهؤلاء العبيد ومعتقداتهم التي تسيطر على عقولهم، وتصديق الراوي لهم، بل وعلمه خبايا كل الشخصيات، وكانت القصة تحكى من زاوية رؤية الشخصية تي نويل الذي يرى أن البيض لا يستحقون ما هم فيه وأن السود يفوقونهم قوة وعزماً وصلابة، بسبب طبيعتهم القاسية التي عودتهم الاعتماد على الذات والمهارات المختلفة، ويظهر عند شخصية تي نويل من خلال الحكى كراهيته للبيض وحقده عليهم بسبب أفعالهم معهم، واعتماد السود على العديد من المعتقدات والسحر والعديد من الآلهة التي يقدسونها.

ومن الطقوس المتبعة لظهور كل ما هو سحري وعجائبي هو مقابلة تي نويل للأكتع (ماكندال بسبب يده المقطوعة في أثناء العمل) في الأماكن الوعرة: «كان تي نويل يتعلل كثيراً بغسل الخيول ويبتعد عن مسكن لونورمان دي ميزي... لمقابلة الأكتع، فيتوجهان إلى حد الوادي، هناك حيث تغدو الأرض وعرة، وسفح الجبال محفوراً بمغارات عميقة.»³⁶ فالأماكن الوعرة تعطي الإحساس بالخصوصية لكي يتم المناقشة في أي موضوعات والتفاهم بشكل عجائبي، وهذا ما حدث مع تي نويل وماكندال فكلاهما يقابلان الساحرة التي تدعى ماما الحق، وهي تعلق عدة سيوف على الحائط وملاعق صدئة موضوعة على شكل صلبان «لإبعاد البارون يوم السبت، بارون الشوك، بارون الصليب وسادة الجبانة الآخرين.»³⁷

هنا يتضح الاهتمام بالمعتقدات المختلفة، فماما الحق تعلق التمام التي تقيها من بارون الشوك وبارون الصليب وسادة الجبانة الذين يتضح أنهم لا يأتون إلا بالشر والموت، وهي في سبيل ذلك تعلق السيوف والملاعق الصدئة على شكل صلبان عدة.

كما أن تي نويل لديه ما يؤمن به بجوار كل هذا، فهو يؤمن بقضية ماكندال، ويرى أنه المخلص الذي سوف تصطفيه الآلهة وتعطيه المقدرة والخوارق الخاصة ليستطيع تحقيق أهدافه، وكان محور الرواية منذ بدايتها حتى نهايتها هو إيمان تي نويل بالسود وقوتهم وبمقدرة ماكندال على هزم الشر في العالم ومحاولة إنشاء مملكة للسود في مملكة هذا العالم، حتى إنه التقى بالساحرة السيدة عجوز الجبل، التي

36 مملكة هذا العالم، ص 16.

37 مملكة هذا العالم، ص 17.

جاءته برسالة من ماكندال بعد آخر لقاء بينهم مع الساحرة، كما لاحظ تي نويل عندما التقى ماكندال أنه ازداد نحولاً وصارت عظام وجهه بارزة ولكن تعابير وجهه كانت سعيدة: «والشيء الذي أذهل تي نويل أكثر هو اكتشافه لعمل طويل دؤوب قام به الماندنغ منذ ليلة فراره. كأنما جاب مساكن السهل مسكناً مسكناً... أدرك تي نويل في ذلك اليوم ما ينتظر منه الأكتع. ويوم الأحد ذاته، لدى عودته من القداس، علم السيد بأن أفضل بقرتين حلوبين في المزرعة... كانتا تحتضران فوق روثهما باصقتين مرتيهما»³⁸، وهنا تتضح ملامح بدايات انتشار السم التي كان ماكندال يعمل عليها لأجل إبادة الحياة ومظاهرها لدى البيض وتلقيهم درساً.

واستمرت محاولات البحث عن المتسبب في هذا الضرر من قبل المستوطنين: «ذات مساء بعد أن تم تهديده بوضع عبوة ديناميت في مؤخرته، انتهى الفولا بالاعتراف: إن ماكندال الأكتع، الذي صار تابعاً لطقوس رادا، واستحوذت عليه عدة آلهة قاهرة، فوهبته قدرات خارقة، هو سيد السم، ولأنه وهب سلطة مفوضي الضفة الأخرى فقد أعلن حرب الإبادة المقدسة. كان هو المصطفى المكلف بالقضاء على البيض وإنشاء إمبراطورية كبرى للسود الأحرار في سان-دومينغ. التحق به ألوف العبيد. لن يتمكن أحد من توقيف مسيرة السم. هذا الاعتراف أحدث في المزرعة عاصفة من ضرب الشياطين. وما أن مزق البارود المشتعل من الغيظ أحشاء الزنجي الثرثار حتى أرسل تبليغ إلى الكاب.»³⁹

السود لديهم قناعة أن ماكندال الذي أصبح سيد السمّ وسيد الأنهار الجوفية، سوف يأتي اليوم الذي يعطي فيه إشارة الهيجان، ويقول تي نويل إن في تلك اللحظة سوف يسيل دم البيض حتى يبلغ الجداول، ولكن الانتظار قد دام أربعة أعوام، مع إيمان أتباعه بعودته بعد دورة تحولاته سليماً ومنتصب القامة صلباً، كل ذلك يدل على إيمانيات السود بالخوارق وفكرة التحولات المقاربة للصوفية، واقتناعهم برجوعه بعد ذلك مكتمل الشكل قوياً، وبأنه سيخلصهم من عذاب العبودية.

ويتبين مشهد الواقعية السحرية أيضاً عند القبض على ماكندال وسط الساحة: «وهو موثق بالحبال والعقد، ومثخن بجروح حديثة. سأل السادة وجوه عبيدهم بالنظرات، لكن الزوج كانوا يبدون لامبالاة مهينة، ماذا يفهم البيض في شؤون السود؟ في دوراته وتحولاته تغلغل ماكندال في عالم الحشرات السري، معوضاً خسارة ذراعه بامتلاك قوائم متعددة»⁴⁰، فعالم السود مختلف عن عالم البيض، فهم لا يفهمون

38 مملكة هذا العالم، ص 21.

39 مملكة هذا العالم، ص 23-24.

40 مملكة هذا العالم، ص 30.

إيمانياتهم ولا معتقداتهم، وهم لا يستوعبون فكرة أن يتحول إنسان إلى حشرة أو إلى أي حيوان آخر بعد اكتمال اتحاده بالإله، ولكن عند القبض عليه وبدء تنفيذ الحكم فيه حدث ما لم يكن في الحسبان: «في هذه اللحظة، حرك ماكندال جدعة ذراعه التي لم تربط، بحركة تهديد لم تكن أقل فظاعة، وأخذ يصيح من التعاويذ المجهولة التي بدأت تهب في جسده بعنف. سقطت قيوده، تمدد جسده في الهواء ثم طار فوق الرؤوس قبل أن يضيع في مد الزنوج الأسود. وملأت الساحة صيحة واحدة: لقد نجا ماكندال!»⁴¹، ولكن ما لبث أن أمسك الجنود به ليلقوا به في النار بادئين برأسه، ورغم ذلك فقد رجع السود سعيدين بما حدث فقد نفذ ماكندال وعده، وعاد من جديد مكتمل الصورة وأقوى من قبل، وسيعود مرة أخرى لأنه سيمكث في مملكة هذا العالم، فقد خدع البيض بالقدرات الخارقة للصفة الأخرى، وأراهم بعض قدرات آلهة السود وأتباعهم.

تتمثل ملامح العبودية في الرواية بمحبة تعذيب السود لسبب ومن دون سبب فالسيد لونورمان دي ميزي كان مع تقدم سنه وإدمانه الخمر ازداد ميله بإلحاق العقوبات الجسدية بالرجال وكذلك كانت زوجته الممثلة بعد أن ذوت وعضتها بسبب الحمى تنتقم لفشلها الفني بجلد الزنجيات اللاتي يساعدها في الحمام والتمشيط بدون سبب أيضا وهو ما يدعو للشعور بالظلم والجور المستمر من قبل السود.⁴² وقد حدث بعد ذلك أن جاء للسود أمر بتحريرهم من قبل الآلهة: «فجأة ارتفع صوت قوي وسط مؤتمر الأشباح... وكانت خطبته ذات الانعطافات الغاضبة والمملوءة بالصياح، تشبه ابتهاًلاً، وتعزيمًا. إنه بوكمان الجاماكي... وبعد قصف الرعد، أعلن بأن ميثاقا قد تمّ عقده بين المطلعين على الأسرار هنا واللواس الكبار في أفريقيا، من أجل بدء الحرب في الوقت المناسب. ومن الهتافات المحيطة به انطلق التحذير النهائي: إله البيض يأمر بالجريمة. آلهتنا تطالب بالثأر. وسوف تقود سواعدنا وتساعدنا. حطموا صورة إله البيض العطشان لدموعنا، ولنسمع في أنفسنا نداء الحرية!»⁴³، ثم بدأت مراسم الرقص الشعائري الكبير كأنه مبايعة لهذا القرار العظيم الذي سيغير حياة السود تمامًا، فتم غرز سكين في خنزير أسود ليأتي المفوضون من الأسياد لفرك شفاههم في دم الخنزير تحالفًا ومباركة لهذا العهد، وأقسم تي نويل أيضًا بأن يطيع بوكمان. وهو ما يعد مجلس قيادة الثورة الذي سيكون بالتحالف مع المستوطنين الإسبان الذين هم ألد أعداء الفرنسيين.

41 مملكة هذا العالم، ص 31.

42 راجع مملكة هذا العالم، ص 37.

43 مملكة هذا العالم، ص 40.

وبدأت عملية التحرك عند سماع أصوات البوق من أماكن مختلفة، وبدأت أعمال القتل والنهب والتخريب من قبل السود على البيض المستعبدين «وكان المحاسب أول من خرج وفي يده مسدس، وأول من سقط مقطوع الرأس بأداة تمليس. وبعد أن بللوا سواعدهم في دم الرجل الأبيض، ركض الزوج إلى المسكن الرئيسي مطلقين صيحات الموت ضد السيد، والحاكم، وضد إله جميع الفرنسيين في العالم. لكن أغلبهم هرعوا إلى القبو بحثاً عن الكحول، مدفوعين برغبات قمعت طويلاً.»⁴⁴

كان السيد بلانشلند مع الإبادة الكاملة للعبيد من الزوج وخلاسيين أحرار. وكان يعرف أنهم بصيحاتهم كانوا يعبدون دوغون في السفينة وأنهم تابعون لديانة الفودو، ما جعل السيد ينصدم من هذا التصريح فتذكر أن الطبل المصنوع من جلد الجدي وهتافاتهم في العمل وطقوسهم المتوحشة ما هي إلا تشجيع لهم على التمرد.⁴⁵

يلاحظ كذلك تنصل الخلاسيين من السود، وذلك عندما لاحظ تي نويل سفينة شرعية محملة بالكلاب المتوحشة، فعندما سأل الخلاسي: إلى أين يشحنونها؟، رد عليه لكي تلتهم زوجاً، وكأنه ليس منهم أو من جزء منهم كما أن البحار الخلاسي هزئ فوق صوت نباح الكلاب وكأنه متشفٍ في الزوج!⁴⁶

في الفصل الثالث من الرواية وهو فصل يبدأ بالعلامات، تظهر على تي نويل ملامح القوة والثبات رغم مرور السنين، فقد ادخر مبلغاً بعد موت سيده تي نويل، وخضوعه تحت حكم سيده المولد الذي جعله يعرف حياة أكثر تحملاً وشقاء، واستطاع دفع ثمن حريته رغم وجود علامات الوسم بالحديد.⁴⁷

كما تظهر ملامح الدين والإيمانيات عند تي نويل، ف«تي نويل لا يكون وحده أبداً حتى ولو كان بمفرده. وهو يعرف منذ زمن طويل فن التحدث مع الكراسي والطناجر، مع قيثار أو بقرة أو مع ظله.»⁴⁸ ولكن بدأت ملامح النباتات بالنضوب والجفاف وبدأت علامات غريبة بالظهور لا يعرفها إلا تي نويل، فقد لاحظ جدياً مشنوقاً في شجرة شائكة، وثلاثة أحجار تشكل نصف دائرة، ثم ثلاث دجاجات سوداء مربوطة من قائمة واحدة ورأسها لأسفل، وآخر العلامات شجرة مشؤومة جذعها منتفش بإبر سوداء وحولها قرايين، وهو ما يذكره بعكايز ليغبا إله الدروب.⁴⁹

44 مملكة هذا العالم، ص 43.

45 راجع مملكة هذا العالم، ص 47.

46 راجع مملكة هذا العالم، ص 52.

47 راجع مملكة هذا العالم، ص 65.

48 مملكة هذا العالم، ص 66.

49 نفسه ص 66.

ويشعرتي نويل بالسعادة عند ملاحظته هذه العلامات التي تدل على ولوجه بلاد المواثيق الكبيرة، وأن كل من آلهة النار والبارود وتم خلط البارود بالدم في تعويذة لتعيد الأسلاف والمساعدة على إبادة البيض. لدى عودة تي نويل لمزرعة لونورمان دي ميزي، لاحظت تي نويل أن المزرعة قد تحولت إلى أرض مهجورة يخرقها درب، واختفت كل مظاهر الحياة في المكان، ولكنه لاحظ وقتها أن عدة فرسان يقبلون نحوه ركضاً ببدلات لامعة ذات سترات زرقاء اللون مغطاة بزخارف تشبه النمط النابليوني، وعندما لحقهم لاحظ دخولهم بستاناً فاخراً متقن الزراعة، ولاحظ وجود العديد من العمال الذين يعملون بالسياط وكان الحراس من الزوج وكذلك العمال، والشيء الذي أذهل تي نويل هو اكتشافه أن هذا العالم المذهل ما هو إلا عالم الزوج، وأن ملكهم هو هنري كروستوف ذلك الطباخ الزنجي في شارع الإسبان.

ولكن لم تكتمل فرحة تي نويل بهذه المملكة العظيمة فما إن اكتشف هذا الاكتشاف حتى باغتته ضربة عصا قوية على ظهره، وكان هؤلاء الحراس الزوج يركلونه لإحدى الثكنات إلى أن تم سجنه، وبدأ بالصراخ أنه على معرفة شخصية بهنري كريستوف لكن لم يكثر له أحد، وفي المساء أجبروه على العمل ونقل الآجر ومواد البناء عبر الجبل لبناء القصر المهيّب، وكان يتسلق الجبل مع مجموعة من الرجال والنساء والأطفال والشيخوخ، دون اهتمام ولا اكتراث لأحد أرحمة.

وهكذا تستمر مشاهد التعذيب لغرض التشييد دونما مقدرة على الاحتجاج، وكان يرى تي نويل أن كل هذا التشييد: «إنما يعزى إلى استعباد أشد من ذاك الذي عرفه في مزرعة لونورمان دي ميزي. بل أسوأ، لأنه كان من المؤلم جداً أن يجلد زنجي مثله، لا قيمة له وربما هو موسوم بالحديد مثله أيضاً... ثم إن المستعمرين كانوا يحرصون سابقاً على عدم قتل عبيدهم، إلا إذا كانوا من الأشقياء... في حين أن موت زنجي هنا لا يكلف الخزنة العامة أي شيء: ما دامت هناك زنجيات لإنجاب الأطفال»⁵⁰.

وعندما قلت الأعمال في القلعة بدأت الحياة تأخذ مجراها بشكلها الطبيعي إلى حد ما وتم الاستغناء عن تي نويل لقلّة فائدته، ما دعا تي نويل للاختباء في مزرعة لونورماندي ميزي القديمة خوفاً من رجال كريستوف، واندلعت الثورة التي شارك فيها تي نويل أيضاً ليجد نفسه بعدما تحرر عبداً مرة أخرى تحت سطوة المولدين، وتنتهي القصة بهرب تي نويل من مملكة هذا العالم إلى التحولات الحيوانية لينتهي به الأمر للتحول لعقاب وحيد جرح، وهي عكس تحولات ماكندال التي كان الهدف منها تشجيع المناصرين لهم على الثبات على المبدأ وهو رفض العبودية، لكن تي نويل كانت تحولاته جبانة هرباً من الوضع

المفروض وفقدًا للأمل في النجاة.

التشابهات الاختلافات بين الروائيتين:

لقد التقت كلتا الروائيتين في مجموعة من الأفكار والعناصر نظرًا لاقتراب السياقات الثقافية بينهما،

وأهم أوجه الشبه والاختلاف ترد فيما يلي:

أوجه الشبه

«مملكة هذا العالم»، (ماكندال / تي نويل والمستعمر المستعبد)	«نزييف الحجر» - (أسوف والودان)
• ماكندال يتحول إلى طائر ويهرب من حرق المستعمر له ويتحول بعد ذلك إلى العديد من الكائنات.	• أسوف يتحول إلى ودان ويهرب من المستعمر الإيطالي (الإحلال في الصوفية).
• تي نويل يحكي الرواية كلها وعن ماكندال ومعجزاته وظيفه الذي شجع على الثورة ضد المستعمر الفرنسي، وفي نهاية الرواية هو شيخ كبير في السن لا يحتمل العبودية.	• أسوف شيخ كبير في نهاية الرواية ويحكي الماضي بتقنية المونولوج الداخلي على لسان الراوي العليم.
• تقديس ماكندال واعتباره المخلص من العبودية، وتخيل العبيد له في أشكال وصور العديد من الكائنات، تحفيزاً لهم على الثورة على المستعمر.	• تقديس الودان لأنه طوطم المكان، وطوطم الصحراء، ومساعدة أسوف له وحمايته هرباً من الغضب وحدوث الطوفان.
• القفزات الزمنية لتعميق وصف الشخصيات وبيان أحداث مركزة وتعميقها.	• القفزات الزمنية وتخلل المونولوج الداخلي لدعم القصة بذكريات الماضي القائمة عليها الأحداث.

<p>ص 15: في الرواية ذكر أن المدينة (فيدا) يتم فيها عبادة الصل، وهو الرمز الصوفي للدوران الأبدي، وكذلك الآلهة التي تتحكم في العالم النباتي.</p>	<p>• ذكر الراوي لدرأويش الصوفية صراحة في الرواية، وآرائهم في نجاة أسوف وتحوله لودان وعلاقة ذلك بأنها كرامة من الله.</p>
<p>لقاءات تي نويل وماكندال كانت في الأرض الوعرة والجبال. ص 17</p>	<p>• لقاءات أسوف مع الودان كانت في الجبال والأماكن الوعرة.</p>
<p>انتشار السم في كل مكان إشارة لوجود ماكندال واستعداداً للثورة، والإيمان بـ(دام الله) الذي سيكمل عمل الإنسان بالرعد والبرق والإعصار. ص 26.</p>	<p>• قابيل يعيث في الأرض فساداً فقد أجهز على قطعان الغزلان التي هي طوطمه وأنهى الودان، واقترب الطوفان الذي سيخلص الصحراء ويطهرها.</p>
<p>فضاعة موت الأنسة (فلوريد مور) زوجة المستعبد "لورمان دي ميزي" الفرنسية الجديدة، وموتها على يد تي نويل انتقاماً. هزيمة تي نويل هزيمة مخزية بهربه وذلك بتحوله لعقاب. الصوفية في حلول ماكندال في العديد من الأشكال وقدسيتها في الرواية وأنه المخلص من العبودية.</p>	<p>• فضاعة موت والدة أسوف في الوادي بسبب غدر الطبيعة لها (الفيضان). • هزيمة البطل في نزييف الحجر هزيمة نبيلة بموته على يد قابيل. • الصوفية وفكرة الصبر والاتحاد بالذات الإلهية عند أسوف والودان.</p>

أوجه الاختلاف

« مملكة هذا العالم »	« نزييف الحجر »
<p>العلاقة مع الآخر دائما علاقة عدوانية لأن الآخر مستعمر والأنا مستعبَد ولم تكن إلا علاقة انتقامية تسعى إلى اندثار المستعمر والثورة عليه فقد كانت العلاقة بينهما دائما متوترة، وحقد تي نويل الدفين على البيض وتمني البلاء لهم، كذلك ذكر مميزات السود وقوتهم الجسدية الهائلة في المقابل أنهم مصدر الحياة.</p>	<p>العلاقة مع الآخر الأجنبي محايدة حسب تقبل الآخر للأنا وبيئته الصحراوية وحفاظه عليها، فأسوف يحب الأجنبي الإيطالي الذي جاء باحثًا عن النقوش فضولًا وتقديسًا، أما المستعمر الأمريكي الذي جاء بالمدفيعات وبمعاونة الخائن قابيل له استطاع تدمير الصحراء ومواردها الطبيعية.</p>
<p>ص 36: الحنين إلى الشمس من السيد لو نورمان دي ميزي، وذلك للتخلي عن حزنه على زوجته والخروج منه إلى الضياء.</p>	<p>الشمس من مصادر العذاب في الصحراء التي تعود قاطنوها على حرارتها، واكتسبوا منها القدرة على التحمل والجلد.</p>
<p>الاعتماد على الطقوس السحرية لافتعال الثورة، والاعتماد على التخريب والانتقام من المستعمر لغرض التحرر.</p>	<p>الاعتماد على الطوطمية للحماية من الطوفان والحفاظ على الصحراء وما بها من ثروات.</p>
<p>استمرارية العذاب والعبودية على يد الخلاسيين أبناء العبيد، وامتناع الخلاص.</p>	<p>الخلاص بالطوفان وتطهير الصحراء.</p>
<p>تخلي الجميع عن المَلِك الجديد الخِلاسي بسبب قساوته على حاشيته وشعبه لغرض بناء دولة الزوج الخاصة في هاييتي وانتحار المَلِك وهروب عائلته.</p>	<p>_____</p>

<p>• هجرة سليمان إلى روما فجأة _نقلة زمانية ومكانية_ وتحول تي نويل لإوزة محاولة منه الهرب من عالم البشر، لكن الإوزنفر من الغريب، ثم تحوله بشكل غامض في آخر الرواية إلى عُقاب بعد خبر اختفائه .</p> <p>• الهوية في مملكة هذا العالم تشكل العادات والتقاليد للحفاظ على هوية الجماعة في مجتمع الاغتراب فهي هوية تعتمد على الجماعة لا على الأفراد.</p>	<hr/>
<p>• تتضح معالم الكرنفالية1 في السرد عندما يتساوى المستوطنون السود بالعبيد عند ثورة العبيد عليهم في النص التالي: "ولكن الشيء الغريب هو أن المستوطنين القدامى، بعد القضاء على ثرواتهم ونصف عائلاتهم وبناتهم اللاتي اغتصبهن الزوج... لم تكن تبدو عليهم الشكوى، بل كانوا يبدون أكثر شباباً... أما الذين لم يتمكنوا من إنقاذ أي شيء فكانوا مسرورين بالفوضى والعيش ليومهم، بعيداً عن الالتزامات".</p>	<p>*أزمة الهوية مشتركة في الروايتين من حيث إن كلتا الروايتين هي بحث عن الهوية ومحافظة على ميراث الأجداد، لكن الهوية في نزيف الحجر تميل إلى الهوية الدينية والتصوف، وهي هوية فردية لا تكون مجموعة في الرواية.</p>

قائمة المصادر والمراجع: أولا قائمة المصادر:

1- Alejo Carpentier, El reino de este mundo, epublibra, 2022.

2- إبراهيم الكوني، نزييف الحجر، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2016م.

3- أليخو كارينتيير، مملكة هذا العالم، ترجمة: محمد علي اليوسفي، الطبعة الأولى، ورد للطباعة والنشر والتوزيع، 2008م، سورية-دمشق.

ثانياً: قائمة المراجع العربية والأجنبية:

1- Forte, Jung Ran, Vodun Ancestry, diasporah homecoming, and the ambiguities of Transnationals Belongings in, the Republic of Benin, Global Circuits of Blackness, University of Illionois Press, 2020.

2- Mercedes del Amo : Realidad y Fantasia en Naguib Mahfuz, Univesidad de Granada Granada 1991.

3- آرثر كورتل، ترجمة: سهى الطريحي، قاموس أساطير العالم، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، سورية-دمشق، ط2، 2013م.

4- أندرو لانج، علم الأساطير الحديث، ترجمة: هبة الشاوي، ط1، دار ألكالو للنشر والتوزيع بألمانيا ميونخ، 2020م.

5- البشير الجلجلي، العجائبي في أعمال إبراهيم الكوني الروائية، منشورات سوتيميديا، تونس.

6- جون ستوي، ميخائيل باختين، عبد الله حمودي، إين أنغ، الكرنفال في الثقافة الشعبية، ترجمة: خالدة حامد، منشورات المتوسط، إيطاليا، 2017.

7- ربيعة براخيلية، تجليات العجائبي في رواية نزييف الحجر لإبراهيم الكوني، كلية اللغة العربية، جامعة الجزائر، مجلة إشكاليات في اللغة والأدب، مجلد 9، عدد 2، 2020م.

8- شعيب حليفي، شعرية الرواية الفنتاستيكية، المجلس الأعلى للثقافة، 1997م.

9- صبري حافظ، التجريبية الأولى والواقعية الخاصة، الكلمة، مجلة أدبية شعرية، السعودية، العدد 153، يناير 2020م.

(Footnotes)

1 الكرنفالية هو مصطلح استخدمه الناقد ميخائيل باختين الروسي ليشير به إلى النصوص الأدبية التي لا يتميز فيه صوت عن الآخر ولا يسود صوت بمفرده، ويجتمع فيه كل الصور المقبولة والمستهجنة في آن (الكرنفال في الثقافة الشعبية، جون ستوري، ميخائيل باختين كليفورد غيرتز، عبد الله حمودي، إين أنغ، إعداد وترجمة خالدة حامد، منشورات المتوسط، إيطاليا، 2017، ص 8-40، 51-64).